قصة موسى والخضر –عليهما السلام–في القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف، وأثرها في المجتمع[1]

د. عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال
أستاذ البلاغة والنقد المساعد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون جامعة حائل

أ.رشيد سلمان رشيد الشمري
باحث الماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والفنون جامعة حائل

أرسل البحث للمجلة بتاريخ 14/ 5/ 2023م، وقبل للنشر بتاريخ 27/ 8/ 2023م

المستخلص:
يعمد هذا البحثُ إلى دراسةِ قصةِ موسى والخضر في القرآن الكريم وصحيح مسلم؛ لرصد أوجه التشابه والاختلاف بينهما، والوقوف على أسباب ذلك وتعليله ما أمكن.
وقد اعتمد هذا البحث على المنهج المقارن الذي يقوم على استقراء القصة في القرآن وصحيح مسلم، من حيث المقصد والسياق، والمفردة، وبنية معاقد الجمل، وتصوير المعاني، ومجمل ما اشتملت عليه القصة وما ذُكر في كل منهما وما طُوِي ذكره، والأسلوب القصصي المختار، مع بيان ما فيهما من دلالات بلاغية، ومحاولة الوقوف على أسباب كلٍّ من التشابه أو الاختلاف، والكشف عن مقتضيات الأحوال؛ لبيان أسرار اختصاص كلٍّ بما ورد فيه.
وكان من نتائج هذا البحث: بيان كيف تلاءم محتوى القصة – في القرآن وصحيح مسلم – مع سياقها ومقصدها، وكيف تناسلت معانيها وتفرعت أفكارُها من معنىً واحدٍ، وكيف تناغمت ألفاظها وتناسقت على نهج يسير في مجرى المعنى، فجاءت وحدةً متكاملةً مترابطة، ناطقةً بما يُثبِّتُ أن الصبر من متطلبات العلم، وأن العلم المطلق لله تعالى، وأنه فوق كل ذي علم عليم، وأن الأمور بمآلاتها، وأن توظيف الأشخاص جاء متلائما مع سياق القصة وهدفها، ومع غايات الرسالات الإلهية؛ تثبيتا وتصبيرا لكل من يطلب العلم في سبيل العقيدة، أو من يبذله.
الكلمات المفتاحية: التشابه، الاختلاف، القصة، موسى، الخضر.

(*) للمراسلة:
الباحث الرئيس: د. عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال
قسم: اللغة العربية ، كلية: الآداب والفنون، جامعة: حائل، ص ب: 7891، رمز بريدي: 55424، المدينة: حائل، المملكة العربية السعودية.

(*) Corresponding Author:
Dr. Abdel Hadi Ahmed Sayed AbdelAl
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts and Letters, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.

e-mail: imabdelhady@yahoo.com

(1) بحث مدعوم من عمادة البحث العلمي بجامعة حائل.

The Story of Moses and Al-Khidr -peace be upon them -in the Qur'an and Sahih Muslim between similarities and differences, and its impact on society

Rashid Salman Rashid Al-Shammari
Master's researcher in the Department of Arabic Language at the College of Arts and Arts, Hail University
s20190015@uoh.edu.sa

Dr. Abdelhady Ahmed Sayid AbdelaalA
ssistant Professor in the Arabic Language Department, College of Arts and Arts, Hail University
ah.abdulaael@uoh.edu.sa

Abstract:

This research aims to study the story of Moses and Al-Khidr in the Qur'an and Sahih Muslim, to monitor the similarities and differences between them and find out the reasons as much as possible.

This research relied on the comparative approach based on extrapolating the story in the Qur'an and Sahih Muslim, in terms of intent, context, singular, sentence structure, depiction of meanings, the sum of what was included in the story and what was omitted from it, and the style chosen in the novel, with an explanation of its rhetorical connotations, and an attempt to identify the reasons for similarities, differences, and revelations about it, and revealing the requirements of the circumstances; to clarify the secrets of each specialty mentioned in it.

One of the results of this research was: an explanation of the suitability of the content of the story - in the Qur'an and Sahih Muslim - to its context and purpose, how its meanings multiplied and its ideas branched out from a single meaning, and how its words harmonized and blended into an approach that follows the flow of meaning, so it became an integrated, interconnected unit that speaks what proves that patience is the requirements of knowledge, and that absolute knowledge belongs to God Almighty, and that He is the All-Knowing above all who have knowledge, and that matters have their consequences, and that the use of people was compatible with the context and goal of the story, and with the goals of the divine messages, confirmation and patience for everyone who seeks knowledge for the sake of faith, or who he gives it.

Keywords: similarity, difference, story, Moses, Al-Khidr.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وبعد، فإن القصص القرآني ليس مجرد أحاديث أسطورية مُغرِقةٍ في الوهم، أو أخبار أممٍ خاليةٍ مُبعِدةٍ في الخيال، إنما هو أجناسٌ أدبيةٌ فنيةٌ رفيعةٌ، تنقل لنا أحداث الماضين في القالب الذي عرفه العربُ وعشقوه، نقلًا صادقًا يعرضُ الواقعَ وما تَلبَّسَ فيه من مكنونات الضمائر، وسرائر النفوس، وخلجات الصدور، ممن أحاط بكل شيء علمًا؛ ليكون ألزمَ في التوجيه، وأقوى في الوعظ، وأوقعَ في لفت الأنظار، وجذب العقول، وإثارة الوجدان، وتحريك الأذهان نحو مرامي الشريعة السامية وغاياتها الهادفة (الظواهري، 1991؛ غراب، 2002)، مع ملاءمته جميع مقتضيات الأحوال، وعلائق المعاني (بايازق، 1994).

وبما أن السنةَ النبويةَ –في المقام الأول–شارحةٌ وموضحةٌ ما في البيان القرآني فقد حفلت بكثيرٍ من قصص السابقين، واستقراء أحوال الهداة المهديين الثابتين على العقيدة، المتمسكين بالحق؛ لتَشرَحَ ما يُرادُ من المعاني بالأمثلة التي تجسد الواقع في صورة الماضي، وتَشُدَّ من أزر سالكي طريق العلم في مواجهة الصعاب، وتُقوِّي عزائمهم، وتضعهم على الطريق المستقيم؛ ليفيدوا من تجارب من سبقوهم، ويتجنبوا العجلة في تحصيله، ومن القصص التي وردت في القرآن الكريم وصحيح مسلم قصةُ موسى والخضر–عليهما السلام–حيث وردت القصة في البيان القرآني مرة واحدة وبأسلوب موجز ومختصر في سورة الكهف، كما وردت في كتب السنة الصحاح في البيان النبوي، فأحببتُ أن أتناولها بالدراسة التي تكشف أوجه التشابه والاختلاف بين ما جاء منها في بيان القرآن الكريم وصحيح مسلم، وقصرتها في السنة المطهرة على صحيح مسلم؛ حتى لا يتسع بنا المجال ويتشتت الجهد، فكانت هذه الدراسة تحت عنوان: قصة موسى والخضر–عليهما السلام–في القرآن الكريم وصحيح مسلم، وأثرها في المجتمع «بين التشابه والاختلاف».

الدراسات السابقة

قصة موسى والخضر –عليهما السلام–كغيرها من القصص الإسلامي التي تناولها الباحثون بالدراسة والبحث مع غيرها من قصص القرآن، ومن هذه الدراسات ما يلي:

1. الخالدي، صلاح. (2007)، مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد، ط: ٥، دار القلم.
2. عبدالعظيم، سعيد. (2001)، قصص القرآن عظات وعبر، دار العقيدة للتراث.
3. الأشقر، عمر. (1997)، صحيح القصص النبوي، دار النفائس.

لكن جاء تناولها في جميع الدراسات السابقة لبيان العظة والعبرة منها، دون أن تكون هناك دراسة تخصصية تتناولها بالتحليل البلاغي واللغوي والأسلوبي، أو المقارنة بين القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم، وبيان ما اشتملت عليه من أساليب، واستكناه أوجه الاختلاف والتشابه، وبيان أسرارها وأسبابها. وعليه، فالدراسة مختلفة، بل متباينة عما تم ذكره من دراسات، فهي جميعها دراساتٌ –على ما بذله أصحابُها من جَهدٍ يُذكَر فيُشكَر–يغلبُ عليها الطابَعُ الوعظيُّ الدعويُّ الواضح من عنواناتها، بخلاف الدراسة الحالية التي تقوم على استقراء القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم، من حيث المقصد والسياق، والمفردة، وبنية معاقد الجمل، وتصوير المعاني، ومجمل ما اشتملت عليه القصة وما ذُكر في كل منهما وما طُوِي ذكره، والأسلوب القصصي المختار، مع بيان ما فيهما من دلالاتٍ بلاغية، ومحاولة الوقوف على أسباب كلٍّ من التشابه أو الاختلاف، والكشف عن مقتضيات الأحوال؛ لبيان أسرارِ اختصاص كلٍّ بما ورد فيه.

أهداف البحث:

للبحث عددٌ من الأهداف، أهمُّها: التّعرف على أوجه التشابه والتقارب والتشارك بين بيان القرآن الكريم وصحيح مسلم، وأسراره البلاغية، وعلى أوجه الاختلاف بين بيان القرآن الكريم وصحيح مسلم، وبيان أسبابه وأسراره البلاغية، وبيان أن التشابه أو الاختلاف

إنَّما يكون لغايةٍ تقتضيها ظروف القول حتى لا يخرج عن القصد أو يعتريه الإبهام أو الغموض، أو في المقابل حتى لا يعتريه الابتذال، أو يكسبه السآمة والملال.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمةٍ وأربعة مباحث وخاتمة، تحدث الباحثان في المقدمة عن أهمية الموضوع وخطته والمنهج الذي سار عليه الباحثان فيه، والدراسات السابقة، ثم ذكر الباحثان بعد ذلك نَصَّ القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم كالآتي.

المبحث الأول: المقصد والسياق في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف، وفيه مطلبان:

1 – المقصد في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم. 2 – سياق القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم

المبحث الثاني: البنية في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف، وفيه ثلاثة مطالب:

1– المفردة 2 – بنية معاقد الجمل 3 – تصوير المعاني في القصة.

المبحث الثالث: الحذف والذكر في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف، وفيه ثلاثة مطالب:

1 – المطلع. 2 – محتوى القصة. 3 – التعقيبات الختامية

المبحث الرابع: الأسلوب القصصي في القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف، وفيه مطلبان:

1 –أسلوب القصة في البيان القرآني 2 –أسلوب القصة في البيان النبوي

الخاتمة: وذكر الباحثان فيها أهم النتائج، ثم ثبت بأهم المراجع والمصادر.

تصميم منهجية البحث:

اعتمد الباحثان في البحث المنهج المقارن الذي يقوم على استقراء القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم، محاولين رصد أوجه التشابه والاختلاف بينهما، من حيث المقصد والسياق، والمفردة، وبنية معاقد الجمل، وتصوير المعاني، ومجمل ما اشتملت عليه القصة وما ذُكر فيها وما طُوِي ذكره، والأسلوب القصصي المختار، ومحاولة الوقوف على أسباب كلٍّ من التشابه أو الاختلاف، والكشف عن مقتضيات الأحوال؛ لبيان أسرار اختصاص كلٍّ بما ورد فيه، على أنه لم يكن من هَمِّ البحث (إذ لم يكن عنوانه المسائل البلاغية في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم) رصد جميع ما في القصة من خصائص بلاغية، أو الوقوف عند كل كلمة أو أسلوب أو خصيصة، إنما همُّهُ رصد أوجه التشابه والاختلاف في القصة بين القرآن الكريم وصحيح مسلم، ومحاولة تعليلها، وهذا ما عناه بـ (بين التشابه والاختلاف) في عنوان البحث.

نص القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم:

أولًا: نص القصة في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ

قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: 82-60).

ثانيا: نص القصة في صحيح مسلم:

6312 – حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ كُلُّهُمْ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ –وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ –حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ :كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ: « قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَفَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ –قَالَ –وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا –قَالَ –وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِى أُمِرَ بِهِ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، قَالَ: يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا؟ قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، قَالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، يَقُولُ مَائِلٌ. قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–«يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا». قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–«كَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا» قَالَ «وَجَاءَ

عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ»، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَكَانَ يَقْرَأُ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَكَانَ يَقْرَأُ وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا. (النيسابوري، د.ت، 7/ 103).

6314 – ''حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الْقَيْسِيُّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَقَبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ أَسَمِعْتَهُ يَا سَعِيدُ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَبَ نَوْفٌ''. (النيسابوري، د.ت، 7/ 103).

6315 – حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–يَقُولُ «إِنَّهُ بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَأَيَّامُ اللَّهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلاَؤُهُ إِذْ قَالَ: مَا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ رَجُلاً خَيْرًا أَوْ أَعْلَمَ مِنِّي، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنِّي أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ مِنْهُ أَوْ عِنْدَ مَنْ هُوَ إِنَّ فِي الأَرْضِ رَجُلاً هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَدُلَّنِي عَلَيْهِ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ: تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا فَإِنَّهُ حَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَعُمِّيَ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لاَ يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ قَالَ فَقَالَ فَتَاهُ: أَلاَ أَلْحَقُ نَبِيَّ اللَّهِ فَأُخْبِرَهُ قَالَ: فَنُسِّيَ. فَلَمَّا تَجَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حَتَّى تَجَاوَزَا، قَالَ: فَتَذَكَّرَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا، قَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَأَرَاهُ مَكَانَ الْحُوتِ قَالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي، قَالَ فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هُوَ بِالْخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْقَفَا، أَوْ قَالَ عَلَى حَلاَوَةِ الْقَفَا قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ قَالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: وَمَنْ مُوسَى؟ قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: مَجِيءٌ مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا؟ شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتُهُ لَمْ تَصْبِرْ، قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، قَالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا، قَالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا، قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، قَالَ فَانْطَلَقَ إِلَى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، قَالَ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى لَوْلاَ أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا. وَلَوْ صَبَرَ لَرَأَى الْعَجَبَ – قَالَ: وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بِنَفْسِهِ «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي كَذَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا –«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا فَطَافَا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ: لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، وَأَخَذَ بِثَوْبِهِ، قَالَ: سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الَّذِي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ، وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا، وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ » إِلَى آخِرِ الآيَةِ. (النيسابوري، د.ت، 7/ 103، 104).

المبحث الأول: المقصد والسياق في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم

المطلب الأول: المقصد في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف.

يتلخّص مقصدُ القصة الرئيس في بيان فضل العلم، والتنويه بشأنه، والحث على الازدياد منه، والسعي في تحصيله، والظفر بمن

يبلغ الزيادة فيه، مع الصبر على مشاق ذلك، وتحمل ما عسى أن يواجه المتعلم في سبيله؛ تربيةً للمتقين وتعريضًا بأهل الكتاب، من خلال بيان أن الأولى بهم أن يَدُلُّوا الناس على أخبار موسى – عليه السلام – وسفره لأجل تحصيل العلم، لا لأجل بسط السلطان والملك (ابن عاشور، 1974).

يوضح ذلك في القصة القرآنية نفيُ موسى –عليه السلام –التوقفَ عن السير حتى يصل إلى مكان لقاء مُعلِّمه، ولو استمر مسيرُ رحلته سنين طويلةً وحقبًا مديدةً غير محصورةٍ بمقدار في قوله في وحي القرآن ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: 60)، وفي القصة النبوية قول موسى –عليه السلام–لما أوحى الله إليه: إن عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قال: « أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ (النيسابوري، د. ت).

ويوضح مكابدة السعي وتحمل المشاق في سبيل العلم قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) (الكهف: 61)، وقوله في القصة النبوية:

فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَفَتَاهُ... فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا –قَالَ –وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِى أُمِرَ بِهِ. (النيسابوري، د. ت، 103/7).

فضلًا عمّا في القصة من وجوب الأدب مع العلماء، وطاعتهم، والاعتذار عن مخالفتهم، مع الوفاء بوعودهم، قال الإمام النووي (1392): ''وفي هذا الحديث: الأدب مع العالم، وحرمة المشايخ، والوفاء بعهودهم، والاعتذار عن مخالفة عهدهم''. (137/15).

ويوضح هذا الأدب مع العلماء استئذان موسى –عليه السلام–في اتباعه ومرافقته؛ حيث عرض عليه أمر اتباعه بقوله: (هَلْ أَتَّبِعُكَ) (الكهف: 66)، بعد التسليم عليه الوارد في قصة البيان النبوي في: «فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى'' (النيسابوري، د.ت، 103/7).

ويوضح الصبر على طلب العلم، وطاعة أهله قول موسى –عليه السلام–لما حذره الخضر من عدم استطاعته الصبر على ما لم يحط به خبرا: (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الكهف: 69).

ويوضح الاعتذار عن مخالفتهم قولُ موسى معتذرًا لما اعترض على خرق السفينة فَذَكَّره الخضر بعهده، فقال معتذرًا: (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (الكهف: 73).

ويوضح وفاءهما بعهودهما والتزامهما بما تم الاتفاق عليه في قول موسى–عليه السلام–بعد اعتراضه على الحدث الثاني (قتل الغلام): (إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا) (الكهف: 76) إنهاء الصحبة عند أول خرق لها حين اعترض موسى على إقامة الجدار في قوله: (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (الكهف: 77).

فأنهى الخضر التبعيّة بقوله: (قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف: 78).

ثم أخذ في تفسير وتبيين ما لم يستطع موسى عليه صبرًا، وبين في النهاية أنه لم يفعله من تلقاء نفسه: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) (الكهف: 82).

ومن مقاصد القصة أيضًا عدم الجزم بالأعلميَّة، ووجوب ردها إلى الله تعالى؛ احترازًا من توهم الكبر، وهذا ما جاء صريحا في القصة النبوية، في قوله صلى الله عليه وسلم: ''قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَطِيبًا فِي بَنِى إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ. قَالَ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ''. (النيسابوري، د.ت، 103/7).

كما ورد تأكيد ذلك في نهاية القصة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم: ''وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ

فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ". (النيسابوري، د.ت 104/7).

أما القصة القرآنية فقد جاء ذلك فيها ضمنا بعد ذكر قصة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له، وما عرض للشيطان من الكبر والاغترار بعنصره؛ جهلًا بأسباب الفضائل ومكابرة عن الاعتراف بها، فضُرب بذلك مثلًا لأهل الضلال، عبيد الهوى والكبر والحسد، وأعقب ذلك بقصة هي مثل في ضدها؛ لأن تَطَلُّب ذي الفضل والكمال للازدياد منهما، وسعيه للظفر بمن يبلغه الزيادة في الكمال اعتراف من الفاضل بفضيلته، وفي ذلك إبداء المقابلة بين الخلقين، وإقامة الحجج على المماثلة والمخالفة بين الفريقين: المؤمنين والكافرين، وفي ذلك تعليمٌ وتنويهٌ بشأن العلم والهدى، وتربيةٌ للمتقين (ابن عاشور، 1984).

وذلك لأن السنة تفسير وشرح وتوضيح لما أجمل في البيان القرآني.

المطلب الثاني: سياق القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف.

سياق القصة القرآنية سياق مخالفة ومقابلة بين خلقين: (إبليس وموسى عليه السلام)، وفريقين: الكافرين والمؤمنين، تخللها تعليمٌ وتنويهٌ بشأن العلم والهدى وتربيةُ المتقين (ابن عاشور، 1984).

أما الخلقان فأولهما: إبليس، الذي أُمِرَ والملائكةُ بالسجود لآدم، فأخذته العزة بالإثم، وجرَّهُ الكبر والاغترار بعنصره؛ جهلًا بأسباب الفضائل ومكابرةً في الاعتراف بها، وحسدًا في الشرف والفضل إلى الفسوق عن أمر ربه، وإباية السجود لآدم: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) الكهف: 50)، فضُرب بذلك مثلًا لأهل الضلال عبيد الهوى والكبر والحسد((1)).

ثانيهما: موسى –عليه السلام– الذي ما إن دُلَّ على من هو أعلم منه إلا وقد سارع إليه، عجلًا، مؤكدًا (بالنفي والاستثناء «لا أبرح حتى») عدم توقفه أو تركه السير أو كفه عنه حتى يصل: (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) الكهف 60)، ردًا على من استعظم هذه الرحلة، وخشي أن تناله منها مشقة تُعَوِّقه عن إتمامها، أو دلالة على عظمها؛ للعلم بأنها رحلة بعيدة، وذلك شأن الأمور المهمة أن يأتي الكلامُ عنها مؤكدًا، فضرب به المثل للمتقين أهل العلم والهداية (ابن عاشور، 1984).

وأما الفريقان، فأولهما: أهلُ الكِبر والمجادلة بالباطل، المعرضون عن آيات الله، المستهزئون بها [2]، الذين أزال غرورَهم بتأخر العذاب وأبطل ظنَّهم الإفلاتَ منه ببيان أن ذلك إمهالٌ من أثَر رحمته بخلقه، ومن ثم ضرب لهم المثل بحال أهل القرى الذين أخر عنهم العذاب وقتًا معينًا، حتى إذا جاء الموعد الذي جعله لهلاكهم حلَّ بهم الهلاك[3]، وتقديم الحديث عن أهل الكفر والفسق يتلاقى مع تقديم الحديث عن إبليس على الحديث عن موسى عليه السلام (ابن عاشور، 1984، 15/358).

الثاني: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فكان جزاؤهم الخلود في الفردوس، وعدم التحول عنها، مع الإحسان، ولين القول[4].

أما سياقها العام فالسورة واردة في سياق الجواب عن سؤال المشركين –ومن أملى عليهم من أهل الكتاب– عن قصتي أصحاب

(1) لأن جملة: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح) معطوفة على جملة: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) عطف القصة على القصة (ابن عاشور، 1984).

(2) (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا وَمَنْ أَظْلَمُ مِّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) (الكهف: 57–56)، وكذلك منهم الذين تحدثت عنهم الآيات (87، 100– 106) من السورة.

(3) (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) (الكهف: 59).

(4) (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ...) (الكهف: 88)، وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا...) (الكهف: 107، 108).

الكهف وذي القرنين، ولما انقضى الجواب عن القصة الأولى وما ذُيِّلت به، انتقل إلى الجواب عن القصة الثانية، فقدَّم لها بقصة لها شبهٌ بها في أنها تطواف في الأرض لطلب نفع صالح، هي قصة موسى — عليه السلام– لطلب لقاء من هو أعلم منه؛ تعريضًا بأهل الكتاب بأن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار موسى عليه السلام وسفره لأجل تحصيل العلم والحكمة، لا لأجل الملك وبسط السلطان (ابن عاشور، 1984).

وأن يقتدوا بنبيهم عليه السلام، ولا يتكبروا أو يغتروا بعلمهم.

أما سياق القصة النبوية فهو سياق رَدّ العلم إلى الله تعالى، والسعي في طلبه حيث كان، وممن كان، والحرص عليه، وتجشُّم الصعاب في سبيله، فما ورد في كتب الصحاح من أن موسى عليه السلام كان فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بنعماء الله وبلائه، فسأله بعضهم: أي الناس أعلم؟ فأجاب: أنا أعلم، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: إن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين أعلم منك، ومن ثم بادر سائلًا عن كيفية لقائه واللحاق به: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ؟ (النيسابوري، د. ت).

وبمجرد معرفة ذلك انطلق من فوره ليتعلم منه، وهذه سمات المصلحين المتقين، لم يكابر أو يعاند أو يغتر بعلمه ورسالته ومكانته كما فعل غيره، هذا هو سياق القصة النبوية.

المبحث الثاني: البنية في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف

المطلب الأول: المفردة (الوحدة السيميائية المعبرة عن الحدث)

بدءًا فإن الوحدة السيميائية المقصودة هنا والمنوط التركيز عليها ليست هي كل وحدة أو مفردة في القصة؛ لأن هذا مجاله الدراسة التحليلية للقصة، فضلا عن أنه يجعل الحديث يطول بنا بعيدا عن الهدف، وإنما الوحدة التي نعنيها هنا هي الوحدة التي لها دورٌ بارز في كشف بعض ملابسات القصة أو سمات الأحداث أو الأشخاص فيها، ومن ثم فإن من ينعم النظر في وحدات القصة ومفرداتها اللغوية المعبرة عن أحداثها يلحظ تناسقًا عجيبًا وتناغمًا فريدًا، وإعجازًا في الاصطفاء والانتقاء، وبيان ذلك كما يلي:

(أ) المفردة أو الحقل الدلالي أو الوحد المعبرة عن أحداث القصة في البيان القرآني.

– جاءت المفردة المعبرة عن الحدث في القصة القرآنية عامة مبهمةً لتحمل في طياتها المعانيَ الغزيرةَ والدلالات غير المتناهية؛ إبلاغًا في قوة المعنى وثرائه بحيث لا يكشفه اللفظ؛ لتذهب النفس فيه كل مذهب، فجاء التعبير عن قوة الإرادة وصدق العزيمة في السعي إلى تحصيل العلم والصبر عليه والتصميم على تجاوز كل العقبات بالفعل (أبرح) المسبوق بالنفي (لا) والمغيَّا ببلوغ المكان الذي تم تحديده (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (الكهف: 60)؛ للدلالة على عدم الكف عن السير أو تركه، أو المضي زمنًا طويلًا غير منحصر المقدار، لا نهاية له؛ للدلالة على استمرار السير حتى بلوغ الغاية، ولتأكيد مضيه زمنا يتحقق فيه الوصول إلى مكان اللقاء المحدد (الزمخشري، 1407؛ الأندلسي، 1420هـ).

''أي: أَلْزَمُ الْمَسِيرَ وَالطَّلَبَ وَلَا أَتْرُكُهُ وَلَا أُفَارِقُهُ حَتَّى أَبْلُغ''. (ابن عاشور، 1984، 15/ 365).

وحتى يتحقق المراد.

– الفعل (جاوزا) بما فيه من إبهام لمسافة تلك المجاوزة؛ إبلاغًا في صدق العزيمة وقوة الإصرار؛ إذ لم يتوقفا سريعًا أو يكفا عن السير قبله أو حتى عنده، بل جاوزاه.

الفعل (ارتدا) المؤكد لتلك الإرادة بدلالته على رجوعهما على آثار سيرهما من طريقهما الذي أتيا منه فور علمهما بمجاوزة المكان، المفاد من حرف التعقيب (الفاء) في (فارتدا) ومن صيغة المطاوعة التي توحي بأن إرادتهما القوية هي التي ردتهما (ابن عاشور، 1984).

– الفعل (فوجدا) دون بيان وقتٍ أو هيئة؛ تركيزًا على الحدث نفسه (إيجادهما العبد الذي علَّمه الله من لدنه علمًا)، فهو الحدث الأهم؛ إذ هو الغاية من القصة.

– الإجمال فيما أوتيه العبد (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: 65)؛ لتذهب النفس في الإتيان والرحمة والعلم والتعليم كل مذهب، بما لا يحصره لفظ، ولا ينتهي إليه عقل، ولهذا جاء مشاكلًا لذلك عرض موسى عليه السلام أن يعلمه علمًا دون تحديد: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ...) (الكهف: 66)، وكذلك الحديث عن صبره وطاعته: (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الكهف: 69).

– (فانطلقا) انطلاقًا عامًّا دون تحديد هيئةٍ أو وجهة؛ تركيزًا لصدق العزيمة وقوة الرغبة في إرادة العلم.

–وكذلك في الأحداث الثلاثة:

الأول: حدث خرق السفينة جاء الفعل (خرقها) بمجرد ركوبها (ابن عاشور، 1984).

دون تحديد الكيفية أو السبب.

الثاني: حدث قتل الغلام (فقتله).

الثالث: حدث إقامة الجدار (فأقامه) دون كيفية أو هيئة أيضا، وكذلك في تفسير هذه الأحداث جاء التعبير عامًا ومبهمًا (فأردت أن أعيبها)، و (فأدرنا أن يبدلهما ربهما)، و(فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما)، وفي التعليق على الأحداث الثلاثة كذلك: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) (الكهف: 82)

وجميعها تثري المعنى بما فيها من عموم وشمول وعدم تحديد.

(ب) المفردة أو الحقل الدلالي المعبرة عن الحدث في القصة النبوية.

–جاء التعبير عن أحداث القصة في البيان النبوي صريحًا، بدءًا من قوله في الحديث عن سيرهما إلى لقاء الخضر: «فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ'' ثم لما نسي الفتى أن يخبر موسى بخروج الحوت من المكتل وانطلاقه في البحر، ورد قوله: «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ''، وفي الحديث عن سير موسى والخضر –عليهما السلام –تم تحديد مكان السير: «فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ''، وكيفية خرق السفينة: ''فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ'' وطريقة قتل الغلام: '' فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ''، وكذلك كيفية إقامة الجدار: ''قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ''.

–وفي تأويل الأحداث أيضا جاء بها البيان النبوي صريحة واضحة مفصلة، فجاء تأويل الأول (خرق السفينة) في قوله صلى الله عليه وسلم: ''أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَإِذَا جَاءَ الَّذِى يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ''. (النيسابوري، د.ت، 105/7)

وفي تأويل الثاني (قتل الغلام) جاء قوله صلى الله عليه وسلم: ''وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا'' (النيسابوري، د.ت، 105/7).

وهذا يتلاقى مع كون البيان النبوي شارحٌ للبيان القرآني ومفسرٌ له وموضحٌ لما أبهم فيه.

1– المفردة الدالة على التعريف بشخوص القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم:

(أ) جاء التعبير عن شخوص قصة البيان القرآني–غير شخصية موسى عليه السلام–بذكر صفاتهم بدقة دون النص على أسمائهم.

فجاء التعبير عن رفيق درب موسى–عليه السلام –بالوصف (فتى): (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ) (الكهف: 60)، (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

لِفَتَاهُ) (الكهف: 62)؛ للدلالة على قوته وفتوته؛ إذ يرجع أصل استعمال كلمة الفتى للشاب في مقتبل العمر((1))، وهو ما يتلاقى مع الرحلة التي أَمَدُهَا تحقيقُ المراد وبلوغُ الهدف، فضلًا عما يشي به من دلالة على طاعته واتباعه؛ إذ كلمة فتاه تستعمل كناية في (عبده)، وإضافته إليه في الموضعين إضافة تشريف وتكريم (الأصفهاني، 1412) ؛ و (الخالدي، 1428-2007).

وجاء التعبير عن الخضر عليه السلام بالوصف (عبدا من عبادنا، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا)، فالتنكير في (عبدًا، ورحمةً، وعلمًا) للتعظيم، فهو عبد عظيم آتاه الله رحمة عظيمة وعلما عظيما وإن ظهر في بادئ الأمر من أفعاله ما يخالف ذلك، من خرق السفينة وقتل الغلام، فقد أطلعه الله على لطائف بعض الأمور ودقائقها، والعدول عن الإضافة إلى التنكير والصفة؛ لأنه لم يسبق ما يقتضي تعريفه، فضلا عن الإشارة إلى أن هذا الحال الغريب العظيم الذي ذكر من قصته ما هو إلا حال واحد من أحوال عباد كثيرين لله تعالى (ابن عاشور، 1984).

وجاء التعبير عن الشخصية التي قتلها الخضر بـ: (غلاما) وفي تفسير الحدث جاء التعبير أيضا بها: (وأما الغلام)؛ وذلك للدلالة ما في جملة (فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا) من طيش ونزق، يدرك ذلك بمفهوم المخالفة التي وُصف بها أبواه (وكان أبواه مؤمنين).

وجاء التعبير عمن استطعمناهم فبخلوا بـ (أهل قرية)؛ للدلالة على شدة بخلهم على غير عادة أهل القرى، الذين الأصل عندهم تقديم الطعام دون طلب، أما هؤلاء فأبوا تقديم الطعام مع طلبه، وجاء التعبير عمن كانوا يملكون السفينة بـ (مساكين يعملون في البحر)؛ للدلالة على أنهم قليلو المال يرتزقون من جهدهم، وأنهم يُرقُّ لهم؛ لأنهم يكدحون دهرهم لتحصيل عيشهم (ابن عاشور، 1984).

وجاء التعبير عن الظالم المعتدي على السفن بـ (ملك، يأخذ كل سفينة غصبا)؛ للدلالة على جبروته وقسوته وظلمه، فهو ظالم غاصب معتد، وجاء التعبير عن صاحبي الجدار وأبيهما بـ (غلامين يتيمين)، (كان أبوهما صالحا) استدرارا للشفقة عليهما لظروف يتمهما ورقة لحالهما وصلاح أبيهما.

وهذا كله راجع إلى أن القرآن الكريم دستورٌ عام وقانونٌ شامل لا يُعنَى بالأفراد حتى يسميهم بأشخاصهم، بل هو كتابُ الشريعة الخاتمة الصالحة إلى نهاية الزمان، وهذا ما يناسبه عدم تسمية الشخصيات حتى يتجاوز الأفراد والزمان والمكان؛ لأن هدفه العبرة والعظة وإعطاء المثلات، وهذا ما يحققه التعبير بالأهداف دون تسمية الأشخاص، فالصفات خالدة وثابتة ومتكررة بخلاف الأشخاص، وهذا أدعى للتأثير في المجتمعات في كل تطواف في الأرض لطلب نفعٍ صالح، وليس الأمر مقصورًا على سعي شخص معين في مكان وزمان معينين.

أما سياق القصة النبوية فهو الشرح والتوضيح لبعض ما في القصة القرآنية؛ ولهذا عرَّف بعض الشخوص حسب دورها في السياق.

ففي البداية قبل لقاء العبد الصالح كان دور الفتى محوريًّا معه، فهو رفيقه ومُعِدّ طعامه، وحامل آية اللقاء المنشود (الحوت في مكتله)، ولهذا عرَّف به في البداية فجاء التعبير عنه بـ (فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ).

وبعدها كان دور العبد الصالح محوريًّا فذكره باسمه ونص عليه (الخضر) في قوله صلى الله عليه وسلم: (فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ)، وفي (قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)، وفي (فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ)، وفي (فَعَرَفُوا الْخَضِرَ)، وفي (فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ)، وفي (قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ)، وفي (فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ)، وفي النص عليه وتعيينه باسمه دلالةٌ على أن كل ما قام به من أعمال إنما هي خاصة به، ولا يجوز لغيره أن يتأسّى بها، حتى لا يفسد المجتمع ويتكدر صفو الحياة، وينتشر القتل ويكثر التخريب.

المطلب الثاني: بنية معاقد الجمل

(1) قال ابن فارس: «الْفَتَى مِنَ النَّاسِ: وَاحِدُ الْفِتْيَانِ. وَالْفَتَاءُ: الشَّبَابُ، يُقَالُ فَتًى بَيِّنُ الْفَتَاءِ''. (ابن فارس، 1979، 4/474).

بنية معاقد الجمل في كل نص لها نظامٌ تركيبي تفرضه أهدافُ منشئه وسياقه وظروف إنشائه، فليس الأمر مجرد ضم كلمة إلى كلمة والإتيان بجملة من بعدها جملة يتكون النص، بل لا بد من علائق قوية بين كلمات كل نص وجمله، ولا بد من وشائج قربى متينة بين ألفاظ كل نص ومعانيه تربط بينها، بل تُحكِمُ اتصالها حتى تبدو كتلةً واحدة، وخلقًا متكاملًا، لا مسخًا، والمتأمل في قصة موسى والخضر عليهما السلام يجد هذه العلائق القوية ووشائج القربى الراسخة، ويلحظ الترابط والتناسق والتلاحم في المعاني والألفاظ، ويجد أن هذا التلاحم على لونين:

1 – التلاحم المعنوي في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم:

الناظر في القصة القرآنية يلحظ تلاحمها وترابطها وتناسقها العجيب؛ حيث تناسلت كل معانيها من رحم جملةٍ واحدة حملت أصل المعنى كلَّه، هي الجملة الطلبية: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) (الكهف: 66)، التي طلب فيها موسى التلمذة على يدي الخضر –عليهما السلام–فما جاء قبل هذه الجملة[1] كان توطئةً لها، وسعيًا حثيثا للوصول إليها، وعزمًا أكيدا وتصميمًا على تحقيقها، وما جاء بعدها كان تعبيرًا عنها وبيانًا عن شروط هذه التبعية ومتطلباتها، وتفسير وتفصيل لما بُني عليها، حتى خُتمت القصة بنتيجة حتمية في: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ) (الكهف: 82).

أما القصة النبوية فقد حكت مرحلةً سابقة على ما ورد في القصة القرآنية، ولهذا كان رأس المعنى وأصله في القصة النبوية جواب موسى – عليه السلام – لما سُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. ولم يرُد العلم إلى الله تعالى، ولهذا عَتَبَ اللهُ عليه، وأعلمه أن من عباده من هو أعلم منه، ومن هذا المعنى–وهو سابق على المعنى الذي تناسلت منه القصة القرآنية–تناسلت كل معاني القصة النبوية، فجاءت تفسيرًا وشرحًا وتوضيحًا لما ورد في القصة القرآنية، وجاء كل ما ورد فيها متلائمًا مع هدفها وسياقها، مع بقاء أصل المعنى متوافقا مع القصة القرآنية؛ لأن منبعهما واحد، ولهذا تناسل في كليهما المعنى وتتابعت الجمل في تعَالُقٍ معنوي محكم وترابط وتناسق معجب حسب سياق كل قصة في كل واحد من البيانين.

وهذا ما له أثر بالغ في المجتمعات من حيث التوافق والتناسق بين ما ورد في القرآن الكريم وصحيح مسلم، وعدم التعارض أو التناقض لكل ما اشتملا عليه من العقائد والشرائع والقصص.

2 – التلاحم اللفظي في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم.

من ينعم النظر في قصة البيانين يدرك أنها – مع تلاحمها المعنوي العجيب من مفتتحها حتى نهايتها–قد شاع فيها الربط اللفظي الذي يزيد من تلاحم المعاني وترابطها، ويحقق ويؤكد وشائج القربى بينها، ومن تلك الروابط في القصة القرآنية:

– الرابط الدال على التَّرَتُّبِيَّة والتتابع والتعاقب في أحداث القصة (الفاء) في (فلما بلغا مجمع بينهما، فاتخذ سبيله، فلما جاوزا) وفي (فارتدا، فوجدا عبدا)، وبعد أن وجد موسى الخضر جاءت الفاء لتحكم هذا التعاقب والترابط، وتقوي هذا التعالق والتتابع بين الأحداث المتوالية في (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة، فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية)، ولم يُكتَفَ بهذا بل جاء الربط بها أيضا بين جزئيات الحدث الواحد (فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله)، و (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية، فأبوا أن يضيفوهما فوجدا، فأقامه)،كما جاء الربط بها في تفسير هذه الأحداث (أما السفينة فكانت لمساكين، فأردت أن أعيبها)، و (وأما الغلام فكان أبواه، فخشينا، فأردنا)، و (وأما الجدار فكان لغلامين، فأراد ربك).

–الرابط الدال على الجمع والتشريك (الواو) في (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان)، وفي (واتخذ سبيله)، وفي الحديث عن العبد (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)، وفي حديث موسى –عليه السلام –عن صبره وطاعته (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي)، وفي تبريره عدم صبره في أول حدث رآه من الخضر (لا تؤاخذني، ولا ترهقني)، وفي الحديث عن صفات صاحبي

(1) (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا..... قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) (الكهف: 64–60).

الجدار (وكان تحته كنز، وكان أبوهما صالحا)، وفي تعليل الخضر إقامة الجدار (يبلغا أشدهما ويستخرجا).

–الربط بالاستفهام المستعمل في العرض في قول موسى–عليه السلام–: (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) والمستعمل في التنبيه في (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) الذي جاء جوابه: (ستجدني إن شاء الله صابرا)، ثم الاستفهامات التقريرية في (أرقتها لتغرق أهلها)، و(أقتلت نفسا زكية بغير نفس)، و (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا)، و(ألم أقل لك)، (لو شئت لاتخذت عليه أجرا).

–الرابط الدال على التفصيل والتفسير المتمثل في حرف التفصيل (أما) الذي جاء بعد قو الخضر لموسى–عليهما السلام –: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) في (أما السفينة) و (وأما الغلام) و (وأما الجدار).

–الرابط الشرطي الوارد في عرض موسى–عليه السلام –التبعية على أن يعلمه في (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا)، والشرط اللفظي الصريح في رد الخضر (فإن اتبعتني فلا تسألني).

–الرابط الدال على العِلّيَّة أو السببية (الواو) في الجملة الحالية (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)، التي كانت علة خرق السفينة وسببه.

– (الفاء) في الحديث عن أبوي الغلام (فكان أبواه مؤمنين)، وفي (فخشينا)، و (فأردنا)، وفي الحديث عن جدار الغلامين (فأراد ربك أن يبلغا).

– الرابط الدال على زيادة المعنى وتناميه، المتمثل في تعديد صفات الجدار (كان لغلامين)، (في المدينة)، (وكان تحته).

– الضمائر: ضمائر التكلم العائدة إلى الله تعالى في (عبادنا، آتيناه، عندنا، علمناه، من لدنا).

– ضمائر الغيبة العائدة إلى موسى–عليه السلام –وفتاه (مجمع بينهما، حوتهما، فارتدا، آثارهما، فوجدا).

– ضمائر التكلم العائدة عليهما أيضا (موسى–عليه السلام –وفتاه) (غداءنا، لقينا، سفرنا، أوينا، نبغي).

–ضمائر التكلم لموسى–عليه السلام –(لا أبرح، أبلغ، أمضي) قبل أن يجد الخضر، و (أتبعك، تعلمني، ستجدني، لا أعصي، تؤاخذني، نسيت، ترهقني، أمري، إن سألتك، تصاحبني، من لدني).

– ضمائر المتكلم العائدة على الخضر (معي، اتبعتني، فلا تسألني، أُحدِثُ، ألم أقل، ألم أقل لك، بيني وبينك سأنبئك، فأردت، أعيبها، فخشينا، فأردنا، وما فعلتُه عن أمري).

– فضلا عن ضمائر الخطاب التي ترددت بين موسى والخضر عليهما السلام، وهي متعددة أيضا.

ومن تلك الروابط في القصة النبوية:

– بناء القصة على الترتيبة والتعاقب والتتابع من خلال حرف العطف (الفاء) في (فسئل: أي الناس أعلم؟) في الحديث عن موسى–عليه السلام –لما قام خطيبًا في قومه، وتوالت بعدها الفاءات للدلالة على التتابع وتعالق الأحداث وتواليها: (فقال: أنا، (فعتب الله عليه)، (فأوحى إليه)، (فقيل له)، (فحيث تفقد الحوت)، (فهو ثَمَّ)، (فانطلق)، (فاضطرب الحوت)، (فسقط في البحر)، (فانطلقا بقية يومهما)، (فلما أصبح)، (فرأى رجلا)، (فسلم عليه)، (فقال الخضر).

– وعندما عرض أن يتبعه جاءت الفاء في (فإن اتبعتني، فلا تسألني)، وأثناء الصحبة (فانطلق الخضر وموسى–عليهما السلام –يمشيان) (فمرت سفينة)، (فكلماهم)، (فعرفوا الخضر)، (فحملوهما)، (فعمد الخضر إلى لوح)، (فنزعه) (فقال موسى).

– وفي الحدث الثاني (فبينما هما يمشيان إذا غلام)، (فأخذ الخضر برأسه)، (فاقتلعه)، (فقتله)، وفي الحدث الثالث (فانطلقا)، (فأبوا)، (فوجدا)، (فأقامه).

– الاستفهام في قول أحد بني إسرائيل ممن سمع خطبة موسى–عليه السلام –(أي الناس أعلم؟) ذلك الاستفهام الذي بنيت على

الجواب عنه كل أحداث القصة، وفي قول موسى-عليه السلام -(كيف لي به؟)، وفي قول الخضر لموسى-عليهما السلام -: (كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟)، وقوله: (أنى بأرضك السلام؟)، والعرض الوارد في صورة الاستفهام (هل أتبعك؟)، والاستفهامات التقريرية التي توافقت مع ما في القصة القرآنية في معناها ومبناها: (أخرقتها لتغرق أهلها؟)، (أقتلت نفسا؟).

- التفسير في (فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون).

- التعليل في (فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه).

- الرابط الدال على الجمع والتشريك في (وانطلق معه فتاه)، (فرقد موسى وفتاه)، (وأمسك الله عنه جِرْية الماء)، (وكان لموسى وفتاه عجبا).

- التفصيل الوارد في القصة القرآنية إضافة إلى ما جاء في قوله مفصلًا حال الحوت وحال موسى-عليه السلام -وفتاه بعد أن سقط الحوت في البحر (فكان للحوت سربًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا)، فضلًا عن الشرط والضمائر المتنوعة والمتعددة، وغيرها من الروابط التي تكاد تتفق فيها القصة في البيانين.

المطلب الثالث: تصوير المعاني في القصة

الصورة أو التصوير وسيلة فنية تثري الدلالة، وتحقق القوة التعبيرية للتراكيب، وتنمّي المعاني (أبو رضا، 1987)، وتوضحها وتخرجها من غياهب الأذهان إلى عالم الحواس، بما تحويه من قرائن جلية، وعلائق وشيجة بين الألفاظ والمعاني (الصغير، 1981). وبما تكسوها إياه من وظلالٍ وألوان تجعل الصورة تكاد تنطق بما حوت من إيحاءات، ومشاعر، وأخيلة، وعواطف، فتحدث في النفس ألفةً وأنسًا وسرورًا بالمعنى (شرف، 1965). أو تحدث قوة في تأثير المعنى، وإيصاله بطرق متعددة حسب المعاني المرادة، وهذا ما اتصف به بيان القرآن الكريم وصحيح مسلم.

فجاء منه في القصة القرآنية ما يلي:

-إسناد النسيان في (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) إلى موسى-عليه السلام -وفتاه، مع أن الذي نسي هو الفتى في الحقيقة؛ لأن موسى-عليه السلام -طلب من فتاه حمل الحوت في المكتل فإذا خرج الحوت فليخبره، فلما بلغا مجمع البحرين نام موسى-عليه السلام-وخرج الحوت، غير أن الفتى نسي أن يخبره، ولما استيقظ تابعا السير (الخالدي، د. ت).

وذلك إبلاغ في قوة الصلة بين رفقة السفر؛ إذ ما يجري على أحدهما يجري على الآخر، فهما مشتركان في الرحلة وما يحدث فيها، فضلا عن أن عاقبة النسيان ونتيجته واقعة بهما معا، وليست خاصة بالذي نسي وحده (الفتى)؛ إذ حلَّ الجوع والنصب والتعب بعد ذلك بهما معا، ولم يقتصر على من نسي منهما فقط (الخالدي، د. ت).

-قوله: (فاتخذ سبيله في البحر سربًا) الذي يصور الحياة الحقيقية التامة للحوت، الذي عادت فيه الروح، فتحرك، وخرج من المكتل، وشق لنفسه طريقا في البحر، فالسرب: النفق، كما قال ابن عاشور، وقد انتصب سربا على الحال من (سبيله) مرادا بالحال التشبيه، كقول امرئ القيس (2004):

إذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفلِ (ص25)

وهو ما يشهد بتأكيد حياته، ودفع الشك أو التجوز عنها.

-التعبير عن نسيان الحوت بصيغة الحصر في (وما أنسانيه إلا الشيطان)؛ للدلالة على أن ما حصل له من نسيان أن يخبر موسى-عليه السلام -بتلك الحادثة نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب؛ لشدة الاهتمام بالأمر المنسي، وشدة العناية بإخبار رفيقه موسى -عليه السلام -به؛ لكون المنسي أعجوبة شأنها ألا تُنسى، ومن ثم يتحقق أن الشيطان هو من ألهاه وأشغله عن تذكر ذلك الحادث العجيب، فنسي أن يخبر موسى عليه السلام عنه (ابن عاشور، 1984).

–التعبير بـ (النصب) في (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا) الدال على شدة التعب الذي أصابهما بعد ما تجاوزا المكان المحدد، فطلب موسى –عليه السلام –تناول الغداء ليستعيدا نشاطهما وقوتهما ويواصلا رحلتهما.

–الكناية في (فارتدا على آثارهما قصصًا) عن رجوعهما من حيث أتيا، والمبالغة في التحري من خلال اصطفاء مادة (ردَّ) المطاوع للرد، والتعبير بحرف التمكن والاستعلاء؛ إبلاغٌ في توخي المتابعة، وتحرّي طريق العودة؛ كي لا يخطئا رجوعهما من طريقهما الذي أتيا منه (ابن عاشور، 1984).

–المجاز في (علمناه من لدنّا) وهو مجاز في اختصاص العلم الذي أوتيه بالله تعالى، أي: علمناه علمًا صدر منا، لا يُعطى لغير المصطفين؛ تشريفا لهم، وعلامة على قربهم (ابن عاشور، 1984).

–التعبير بـ (تحط) في «وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا» مجاز في التمكن؛ تشبيها لقوة تمكُّن الاتصاف بالعلم المراد بتمكن الجسم المحيط بما أحاط به (ابن عاشور، 1984).

–قوله في الحديث عن الجدار: (يريد أن ينقض) الذي يصور تهالكه وقرب سقوطه وتهدمه بإرادة إنسان عاقل فعلَ شيء، ومن ثمَّ فهو يوشك أن يفعله؛ لأنه أراده؛ إذ الإرادة: طلبُ النفسِ حصولَ الشيء، وميلُ القلب إليه (ابن عاشور 1984) ''فاستعيرت الإرادةُ للمشارفة مبالغةً في ذلك''. (العمادي، د. ت).

–(وكان وراءهم ملك) أي: يطلب سفينتهم التي ستصل قريبًا، يريد أخذها والاستيلاء عليها، إذ الوراء يستعار لحال تعقب شيءٍ شيئا، وحال ملازمة طلب شيء بحق، وحال الشيء الذي سيأتي قريبا، كل ذلك تشبيه بالكائن خلف شيء لا يلبث أن يتصل به، على حد قوله:(مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) (الجاثية: 10) (ابن عاشور، 1984).

–(يرهقهما) كناية عن عقوقه وسوء صنيعه.

ولما كان البيان النبوي شارحًا ومفسرًا لبيان الوحي القرآني؛ وردت فيه صورة بيانية تمثيلية تقرب إلى الأذهان سعة علم الله تعالى وإحاطته عن طريق إظهاره في صورة البحر الذي لا ينقصه من نقره منه العصفور في قوله صلى الله عليه وسلم:

''وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ''. (النيسابوري، د. ت، 7/ 104). على ما أوتيه نبي الله موسى–عليه السلام –من علم شهد له به الخضر في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث:

''قَالَ إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ''. (النيسابوري، د.ت، 7/103).

وما أوتيه الخضر الذي قال الله عنه: (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: 65).

وعليه فلفظ (ما نقص في الحديث ليس على ظاهره، وإنما معناه: أن علمي وعلمك بالنسبة لعلم الله تعالى كنسبة ما نقر هذا العصفور إلى ماء البحر تقريبا للأفهام، وهذا ما أيّدته رواية البخاري((1)).

–(فاضطرب الحوت في الماء) كناية عن صفة، هي الحياة التامة، ثم تأكيد هذه الحياة مبالغة في تمامها وكمالها، من خلال تشبيه عدم التئام الماء عليه بعد أن انطلق فيه بالكوة: الخرق الظاهر في الحائط ونحوه من الأشياء اليابسة، في قوله:

''فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَاءِ فَجَعَلَ لاَ يَلْتَئِمُ عَلَيْهِ صَارَ مِثْلَ الْكُوَّةِ''. (النيسابوري، د. ت، 7/105).

---

(1) ونصه: «قَالَ لَهُ الخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ''. (البخاري، 1422، 4/154؛ النووي، 1392، 15/141).

وهذا ما جاء التعبير عنه في حديث ابن عباس: «وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ"، وهو من البناء ما عُقد أعلاه وبقي ما تحته خاليا، وما عُطف من الأبنية، وجمعه: أطواق، وطيقان (ابن منظور، (1414).

أي: جُعل كالقوس من قنطرة أو نافذة أو ما أشبه ذلك (النيسابوري، د. ت؛ النووي، 1392هـ).

المبحث الثالث: الحذف والذكر في قصة القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف

من ينعم النظر في قصة البيانين ينكشف له بجلاء أن ثمّة تغايرًا بينهما فيما تم إبرازه وإظهاره، وما تم الاكتفاء بغيره عنه حسب مساقات كل قصة ومقصدها، وذلك على النحو التالي:

1- مطلع القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف.

افتتحت القصة النبوية بتوطئة خبرية مهدت لها (قام موسى -عليه السلام -خطيبا في بني إسرائيل» تحدد بدقة أن الخطيب المتحدث هو نبي الله تعالى موسى-عليه السلام- المرسل إلى بني إسرائيل، من خلال التسليم عليه بالجملة المعترضة (عليه السلام)، والنص على المتحدَّث فيهم (بني إسرائيل)، وهذا ما يتلاقى مع سياق القصة النبوية التي سيقت ردًا على (نوفا البكالي) الذي زعم أن موسى بني إسرائيل-عليه السلام -ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام؛ لأن اليهود كانوا يوهمون العرب أن من شرط النبي ألَّا يخفى عليه شيء، مع ما كانوا يعلمون من أن موسى-عليه السلام-خفي عليه جميع ما فعله الخضر عليه السلام، ولإعلامه وغيره من اليهود بما يعلمونه من أن موسى-عليه السلام-جعل نفسه تابعًا للخضر عليه السلام، تكذيبًا للبكالي ولجميع اليهود في ادعائهم أنه ليس أحد أعلى من موسى -عليه السلام -في وصف من الأوصاف، وأنه لا ينبغي لأحد اتباع غيره (البقاعي، د.ت).

وعُقِّبَت هذه التوطئة بسؤال مسبب عنها، يحمل أُسَّ المعنى وأصله الذي تولدت منه معاني القصة كلها: (أي الناس أعلم؟) مع جوابه: (أنا أعلم)؛ إذ لما خطب قومه يذكرهم بأيام الله ونعمائه وبلائه، سئل هذا السؤال؛ لحسن تذكيره ووعظه، وجاء عقب ذلك عُتْبُ الله عليه وبيان سبب ذلك العتب (إذ لم يرد العلم إليه سبحانه)، ثم ذكر له أن عبدا من عباده أعلم منه، وبين له مكانه: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فسأل موسى عليه السلام عن كيفية الوصول إليه: أَيْ رَبِّ كَيْفَ لِي بِهِ، فأعلمه بطريقة ذلك وعلامته: فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، هنا تبدأ قصة البيان القرآني، ضاربة صفحا عن كل تلك المقدمات تلاقيا مع سياق التذكير والعظة الواردة فيه معطوفة على قصة أمر الملائكة بالسجود لآدم في:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (الكهف: 50)، وما فيها من موعظة وذكرى (ابن عاشور، 1984).

وما تلاها من إزالة غرور المعرضين عن آيات الله والهدى بتأخر العذاب عنهم (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) (الكهف: 55)، وإبطال ظنهم الإفلات منه عن طريق بيان أن ذلك إمهال من آثار رحمة الله تعالى بخلقه (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا) (الكهف: 58)، ثم التحذير من الاستمرار في الغفلة حتى فوات الأوان ومجيء موعد الإهلاك (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) (الكهف: 59)، ولهذا لم يكن ثمة سعة في السياق لعرض ممهدات القصة وتوطئاتها، ومن ثم طُوِي كل ذلك؛ تلاؤما مع السياق المشحون بالقوة، فتفردت قصة بيان الوحي القرآني بما فيه دلالة على صدق العزم وقوة الإرادة والرغبة والإصرار على التعلم (لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) ، وهذا ما يتلاقى مع سياق السورة العام والخيط لدقيق الذي يسري فيها من مفتتحها الذي عظَّم أمر العلم من خلال جعل إنزال الكتاب نعمة تستوجب الحمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) (الكهف: 1)، وذم أهل الشرك فنفى عنهم العلم (مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) (الكهف: 5)، إلى أن اختتمها بما يدل على سعة علم الله تعالى في (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ

مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف: 109)، ولهذا لم يتم النص على موسى–عليه السلام– والتصريح باسمه إلا في موضعين، أولهما ما فيه دلالة على إصراره وصدق عزيمته في مفتتح القصة قبل أن يجد العبد الذي علمه الله تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ)، ثانيهما عند عرضه الاتباع على الخضر بعد لقائه (هَلْ أَتَّبِعُكَ) (الكهف: 66).

أما سياق القصة النبوية فقائم على رد زعم نوفا البكالي أن صاحب الخضر–عليه السلام –ليس هو موسى بني إسرائيل –عليه السلام –ولهذا تكرر فيها ذكر موسى –عليه السلام –صراحةً بالاسم الظاهر في موضع الضمير، حتى ورد فيها إحدى عشرة مرة.

2 – محتوى القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم بين التشابه والاختلاف.

القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم لها ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل وجود الخضر وعرض التبعية في العلم عليه.

وقد جاءت هذه المرحلة في الوحي القرآني — على عادته — موجزة تامة المعنى؛ إذ طوت القصة ذكر ما يتعلق بالرحلة حتى بلوغ المكان المحدد للقاء الخضر، فجاء بعد افتتاحها بما يفيد قوة العزيمة على بلوغ مكان اللقاء مباشرة ما يفيد بلوغ المكان (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) (الكهف: 60، 61)، إذ هي مرحلة عادية لا يتعلق بذكرها غرض في القصة القرآنية.

أما قصة البيان النبوي فذكرت تفاصيل ما جرى في هذه المرحلة (مرحلة بداية السير حت بلوغ المكان المحدد للقاء) بدءا بما يوضح علامة بلوغ مكان اللقيا: فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، ثم تفصيل ما حدث: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَفَتَاهُ...، والاستطراد بذكر إكمالهما السير بعد تجاوز المكان المحدد بقية اليوم والليلة: فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا –قَالَ –وَلَمْ يَنْصَبْ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِى أُمِرَ بِهِ (النيسابوري، د. ت).

بل زاد وفصَّل كيفية جريان الحوت في الماء وهيئة الماء عليه، بل وموقف موسى–عليه السلام –وفتاه، وأثر ذلك في نفسيهما في: فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ –قَالَ –وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا.

كما أن القصة في الوحي الإلهي أوجزت الحديث عن مجاوزة مكان اللقاء، إذ جاء التعبير عنه مجملا بـ (فلما جاوزا)، ونسبت نسيان الحوت إليهما (موسى–عليه السلام –وفتاه)، أما قصة الوحي النبوي فحددت مدة سيرهما بعد خروج الحوت، ونسبت النسيان إلى الفتى فقط «فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ".

كما أنها نصَّت على أن النَّصَب لم يمس موسى–عليه السلام– إلا بعد أن جاوز المكان الذي أُمر به، أما في قصة الوحي الإلهي فذلك مفهوم من ترتُّب النصب على المجاوزة في (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هُذَا نَصَبًا((الكهف: 62)، وقد اتحدت القصتان في عبارة الفتى لما طلب موسى–عليه السلام– منه أن يأتيه بغدائه (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ) (الكهف: 63) وفي رد موسى عليه السلام بقوله:(قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) (الكهف: 64)، وما ترتب عليه من رجوعهما إلى مكان خروج الحوت (فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا) (الكهف: 64)، ثم فسرت قصة لوحي النبوي ارتدادهما وغايته وما لقياه: «يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ " وزاد في رواية أبي بن كعب: "فأراه مكان الحوت"، وتعليق موسى–عليه السلام– بقوله: «هاهنا وصف لي» وذهابه يلتمس: «فذهب موسى يلتمس»، ثم هيئة الخضر–عليه السلام– التي وجده عليها « فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى"، وما دار بينهما من حوار حيث قَالَ لَهُ الْخَضِرُ–عليه السلام –: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ قَالَ أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى

بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ'' ثم جملة الخضر-عليه السلام -الخبرية التي قال فيها: «إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ''، كل هذا تفصيل طوته القصة القرآنية؛ تلاقيا مع سياقها كما ذكرت، الذي يركز على العظة وإعطاء المثلات، ويكتفي عن التفاصيل بمواطن العبرة، أما بيان الوحي النبوي فهو بطبيعته التفسيرية الشارحة ناسبه الشرح والتفصيل وذكر التفاصيل.

المرحلة الثانية: مرحلة عرض موسى اتباع الخضر عليهما السلام.

في هذه المرحلة اتفق الوحيان في خطوطها العريضة، ولم يختلفا إلا في تفسير جملة الخضر الدالة على غرابة ما سيكون مما يفعله الخضر، وأنه ليس من عند نفسه؛ إذ جاء بعدها في قصة الوحي النبوي:

''شَيْءٌ أُمِرْتُ بِهِ أَنْ أَفْعَلَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ'' (النيسابوري، د. ت، 7/ 105).

إذ تشير إلى أن كل ما يفعله مأمور به، فضلا عن غرابته.

كما زاد بيان القصة النبوية جواب موسى عليه السلام: (نعم) بعد شرط الخضر لاتباعه عدم سؤاله عن شيء حتى يفسره له في (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (الكهف: 70).

المرحلة الثالثة: الأحداث الثلاثة، الحدث الأول: خرق السفينة وتوابعه

جاء حدث خرق السفينة في القصة القرآنية في غاية الإيجاز، دون توطئة ولا تفصيل فيه، إنما هو انطلاق دون تحديد وجهة، فلما ركبا السفينة خرقها من غير بيان كيفية أيضا (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (الكهف: 71)، وهذا يتلاقى مع سمات بيان النظم المعجز وغايته وسمته.

أما حدث قصة وحي النبوة فقد تمت التوطئة له ببيان هيئة انطلاقهما (يمشيان) وجهته ومكانه(على ساحل البحر) وحالتهما (ليس لهما سفينة)، ثم لما مرت السفينة طلبا من أصحابها أن يحملوهما، والحال أنهم كانوا يعرفون الخضر، فحملوهما دون أجرة « فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمَاهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ''، كما أنها زادت ما ورد في شأن العصفور الذي وقع على السفينة فنقر في الماء نقرة أو نقرتين، فذكر الخضر لموسى -عليهما السلام -أن علمهما بالنسبة إلى علم الله تعالى ليس إلا كنقرة هذا العصفور في البحر.

كل هذا طوته قصة البيان القرآني؛ تركيزا على الأهم الذي به تحصل العبرة، تلاؤما مع سمته وسماته وغاياته، إذ ليس لما طُوِي كبير أثر في العظة والعبرة من القصة.

كما أن حدث (خرق السفينة نفسه) جاء التعبير عنه في القصة القرآنية بالفعل (خرقها) تركيزا عليه دون بيان كيفيته والقصدية فيه من عدمها، أما قصة الوحي النبوي فقد بينت أنه توفرت فيه القصدية، وأنه كان بنزع لوح من ألواح السفينة « فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ''.

وجاء التعبير عن ردة فعل موسى عليه السلام تجاه خرق السفينة بأسلوب الاستفهام الإنكاري التقريري من وجهة نظره؛ إبلاغًا في الإنحاء عليه ولومه، ودلالة على شنيع ما فعل (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) (الكهف: 71).

أما في البيان النبوي فقد جاء ذلك بالأسلوب الخبري التقريري الذي زيد فيه بيان حسن صنيع أصحاب السفينة معهما؛ زيادة في اللوم على الخضر عليه السلام، حيث جاءت ردة فعله بقول موسى عليه السلام: ''قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا''، ومعلوم أن الإنحاء بأسلوب الاستفهام الإنكاري أكثر قوة في اللوم والإنحاء منه بالأسلوب الخبري، على ما فيه من الزيادة التي تحدثت عن حسن صنيع أصحاب السفينة.

وجاء التعقيب على حدث خرق السفينة في القرآن الكريم وصحيح مسلم واحدا (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)،كما جاء رد الخضر على موسى–عليهما السلام– في القرآن الكريم وصحيح مسلم واحدا (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: 72)، كما جاء جواب موسى –عليه السلام –فيهما واحدا (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (الكهف: 73).

الحدث الثاني: حدث قتل الغلام

جاء حدث قتل الغلام في قصة البيان القرآني موجزا كذلك، ودون توطئة تمهد إلى الانتقال من سابقه إليه، بل تم الانتقال مباشرة، وجاء التعبير في غاية الإيجاز (انطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ) (الكهف: 74)؛ تركيزا على الحدث نفسه، ولكأن الانطلاق حاصل بسببه ومن أجله، وذلك هو موطن العبرة والعظة من الحدث.

أما في قصة البيان النبوي فقد تمت التوطئة للحدث، والانتقال من سابقه في «ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ''، ثم تم تحديد مكان الغلام ''فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ'' وحاله التي لقياه عليها ''إِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ''، ثم طريقة قتله ''فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ''، ثم حال موسى–عليه السلام– وأثر الفعلة في نفسه إذ جاء في رواية أبي «فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ذَعْرَةً مُنْكَرَةً''، كل هذا التفاصيل التي طُويت في قصة الوحي الإلهي تتلاقى مع تفسيرية البيان النبوي للقرآن، وكونه شارحا ومفصلا وموضحا له.

أما تعبير موسى–عليه السلام –عن ردة فعله تجاه قتل الغلام (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا((الكهف: 74)، وكذلك رد الخضر–عليه السلام – عليه (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: 75) فقد جاء واحدا في القرآن الكريم وصحيح مسلم، وكذلك جواب موسى–عليه السلام –بعد أن دخلته الملامة لإخلاله بشرط الاتباع للمرة الثانية (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا) (الكهف: 76).

وتفردت قصة البيان النبوي (في رواية أبي بن كعب) بالتعقيب على عجلة موسى عليه السلام في جوابه: (إن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي...) بـ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى لَوْلاَ أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ) الذي يفيد الاعتذار له، احتراسا أن يُتوهم أن عجلته عجلة طيش أو نزق –معاذ الله–ومن ثم بيَّن أنها بسبب الحياء والملامة من إخلاله بشرط الاتباع مرة ثانية واعتراضه على الخضر (وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ).

الحدث الثالث: إقامة الجدار

تفردت قصة البيان النبوي بوصف أهل القرية بـ (لئاما)، والتعبير بما يفيد أن أهلها جميعًا كانوا كذلك من خلال قوله: «فطافا في المجالس) واتفقا في التعبير عن الحدث (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ) (الكهف: 77).

كما اختلفا في ردة فعل موسى عليه السلام في رواية ابن عباس، التي زيد فيها « قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا''، وهو ما يبرر طلب الأجر منهم مقابل إقامة الجدار في قريتهم من وجهة نظره، وهي هيئة تفصيلية تتلاقى مع سياق السنة المفصل لما في القرآن.

المرحلة الرابعة: مرحلة تفسير الأحداث الثلاثة((1))

أ) –تفسير حدث خرق السفينة، اتفق الوحيان في بداية تفسير الحدث، وزيد في قصة البيان النبوي تعقيب يشرح سبب الخرق وغرضه ''فَإِذَا جَاءَ الَّذِى يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فَأَصْلَحُوهَا بِخَشَبَةٍ''

ب) –تفسير حدث قتل الغلام، اختلفت العبارة في الجزء الأول من تفسير حدث قتل الغلام، مع بقاء أصل المعنى، فجاء في قصة الوحي القرآني (أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (الكهف: 80) فنص على إيمان أبوي الغلام،

(١) هذه المرحلة لم ترد في حديث ابن عباس، وكل ما ورد منها إنما هو في رواية أبي بن كعب رضي الله عنهم جميعا.

ودلَّ بمفهوم المخالفة على كفره، أما في قصة البيان النبوي فقد جاء التعبير دالا على كفر الغلام نفسه (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَطُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا)، ودلَّ بمفهوم المخالفة على إيمان أبويه، وزاد (وَكَانَ أَبَوَاهُ قَدْ عَطَفَا عَلَيْهِ)،كما أن قصة البيان النبوي عُلِّق فيها إرهاق أبويه طغيانا وكفرا على إدراكه بأسلوب الشرط (فَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا)، فكان التركيز على طبعه على الكفر، وهو أول أسباب قتله، بينما كان التركيز في قصة البيان الإلهي على خشية أن يرهق أبويه المؤمنين، ومن ثم جاء التعبير بـ (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (الكهف: 80)، واتفق الوحيان في السبب الثاني للقتل (فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) (الكهف: 81).

ج)- تفسير الحدث الثالث: إقامة الجدار، اتحد الوحيان في التعبير عن الحدث الثالث فجاء التعبير فيهما بعبارة واحدة؛ إذ نقل حديث أبي بن كعب نص الآيات نفسه (النيسابوري، مسلم، (د. ت) ١٠٥/٧).

التعقيبات الختامية:

جاء التعقيب الختامي في القصة القرآنية بجملتين، الأولى: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)، وهي عبارة موجزة على لسان الخضر، جمعت كثيرا من المعاني، بل إن شئت قل: جمعت كل ما يقع في الكون، فهو كله بأمر الله وإرادته لا يخرج عنها، مع ما فيها من التسليم المطلق بما قضى الله تعالى والرضا التام بما قدره.

الثانية: (ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا)، وهي على وجازتها حوت أهداف القصة ومراميها، فنبهت موسى عليه السلام وكل البشر في شخصه إلى ضرورة الصبر على أفعال المعصومين الذين علَّمهم الله من فضله وآتاهم رحمة من عنده؛ لأن مثل هؤلاء لا يخرجون عن مراد الله تعالى، ولا يخالفون شرعه، ولا يحكمون بأهوائهم، أو يفعلون أفعالًا من عند أنفسهم، ومن ثم كان معناها مقررا معنى (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)، التي قبلها، كما أن معناها عودٌ على ما كان سببا في القصة مما أوحى الله به إلى موسى-عليه السلام -: (أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ) في القصة النبوية، وقوله: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)، (الكهف: 65)، فهو في سياقه الخاص وشموله يتلاقى مع الحديث عمن هو أعلم ومن علَّمه الله تعالى، كما أنه في سياقه العام، سياق أن الله هو المتفرد بالفعل والأمر وكل ما في الكون، وأن على الجميع: (ملائكة وجن وإنس) السمع والطاعة والانقياد المطلق والرضا التام بما قدَّر وقضى يتلاقى في هذا الشمول والعموم مع ما عطفت عليه القصة من أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم وإباية إبليس لجهله وتكبره وقلة صبره، إذ القصة معطوفة على قوله:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ((الكهف: 50)، لما فيهما من الموعظة والذكرى (ابن عاشور، محمد الطاهر (1984)،15 /359) فضلا عن تربية المتقين، والتنويه بشأن أهل العلم، وحث ذوي الفضل على الاستزادة منه، والسعي للظفر بمن يبلغهم الزيادة فيه، مع الاعتراف بفضيلتهم فيه.

أما التعقيب الختامي في القصة النبوية فقد جاء في رواية ابن عباس -رضي الله عنهما- في ثلاث جمل:

أولاها: قوله صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا'' وهذا التعقيب يتلاقى مع السياق العام لبيان البشر بما فيه من دلالة على الرغبة في الاستزادة من أخبار السابقين وعجيب قصصهم وآثارهم، كما يتلاقى مع سياق الحديث الخاص الذي يدور حول طلب العلم والرحلة من أجله والحث على الاستزادة منه، ورد العلم المطلق إلى الله تعالى.

ثانيتها: قوله تعليقا على اعتراض موسى-عليه السلام -على ما قام به الخضر-عليه السلام -:'' كَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا''، وهذا التعقيب يتلاقى مع تفسيرية السنة وشرحها ما ورد في القرآن، حيث ورد فيه بعد لوم الخضر موسى -عليهما السلام -لّما اعترض على حدث خرق السفينة: (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)، (الكهف: 73)، وهذا ما حملته جملةُ التعقيب الثاني، بما فيها من معاني العذر لموسى عليه السلام.

ثالثتها: قوله: «وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ"، الذي يُقَرِّبُ إلى الأذهان صورة إحاطة علم الله تعالى وسعته، من خلال تصويره بالبحر الخضم، الذي لا يُقارن بما حصَّله عصفور بنقرة واحدة أو نقرتين في ماء البحر، فليس علم البشر في جنب علم الله تعالى إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره، وبهذا يتلاقى التعقيب مع سياق القصة ومغزاها، فضلًا عن تلاؤمه مع تفسيرية السنة.

المبحث الرابع: الأسلوب القصصي في قصة موسى والخصر بين التشابه والاختلاف

من المعلوم المسلم به أن لكل قصة أغراضها الخاصة بها، وأهدافها المحددة التي تجيء من أجلها، فضلًا عن أحداثها ومضامينها التي اشتملت عليها، والتي تفرض أسلوبًا قصصيًّا يتلاءم وتلك الأهداف والأحداث والمضامين، والمتأمل في الأسلوب القصصي لقصة موسى والخضر –عليهما السلام –في القرآن الكريم وصحيح مسلم يلحظ تشابهًا كبيرًا؛ حيث وظف البيانان أسلوبي الحوار والسرد في تحقيق أهداف القصة، وكشف ملابساتها، وإدراك الأثر المطلوب منها، فسيطرت على القصة صيغة المنقول المباشر الذي تتخلله صيغة الخطاب المسرود لملء الفضاءات، وتوضيح ذلك فيما يلي:

1 – الأسلوب القصصي في قصة البيان القرآني

استخدم البيان القرآني أسلوبي الحوار والسرد الموضوعي الذي يكون فيه الراوي محايدًا، يصف الأحداث ولا يتدخل في سيرها، تاركًا للقارئ الحرية في تفسير ما يحكى له (الشكلانيون الروس، 1982)، بصيغة المنقول المباشر الذي ترى فيه نص حوار الشخصيات الذي ينقله السارد كما جرى في الواقع، مع التنصيص من خلال التعبير بفعل القول (قال) المسند للشخصية على أن الكلام لتلك الشخصيات، ومن ثمَّ تأتي الوقائع حيَّة فيها تفاعل بصورة أكبر (هلال، 1977).

واختير للقصة الشكل السردي الأول السارد مع الشخصية الروائية أو «الرواية من الخلف» ذلك الشكل الذي يكون فيه السارد أكثر معرفة من الشخصية الروائية، يخترق الجدران، ويرى ما يدور برؤوس الشخصيات، وهذا اللون أو الشكل السردي هو الذي يتناسب مع صفات اللطيف الذي يعلم ما لطف ودق، الخبير بكل شيء سبحانه، كما أن اختيار هذا الشكل يتلاقى مع سياق الحديث عن علمه تعالى بعواقب الأحداث وتدبير الأمور، ومن ثمَّ بدأت بسرد حوار موسى–عليه السلام –مع فتاه في عزمه بلوغ المكان المحدد للقاء الخضر–عليه السلام –ثم وصوله إليه، ثم نسيان العلامة وتجاوز المكان.

ثم جاء دور الحوار الذي يضفي الذاتية على الأحداث، ويسمح لكل شخصية أن تنتج كلامًا يميزها عن غيرها؛ لأن كلام الشخصية وأسلوبها بمثابة الهوية الخاصة بها (الرقيق، 2004).

فلما أنهكهما التعب وشعرا بالجوع جاء دور الحوار: (قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا...) (الكهف: 62)، فرد عليه الفتى: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي...) (الكهف: 63)، فأجابه موسى–عليه السلام –: (ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ) (الكهف: 64)، وهو (الحوار) على وجازته معبر بوفاء ودقة عن المعاني الكثيرة من وراء سيرهما.

ثم يعود السرد في يسر وسلاسة إلى قلب الأحداث التي تبدأ سريعة، ناقلا القارئ إلى بيئتها؛ ليعيش جو القصة العام، وكأنه يسمع ما يقال في كل مرحلة ويشاهده (قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا... فَوَجَدَا) (الكهف: 64، 65).

ثم يتخلل الأحداث حوار جديد يعرض فيه موسى على الخضر –عليهما السلام – اتباعه (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ...) (الكهف: 66).

فيرد عليه الخضر عليه السلام: (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)، (الكهف: 67)، ويفسر له السبب (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا((الكهف: 68).

فيجيبه موسى–عليه السلام –معتمدا على تقديم المشيئة (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) (الكهف: 69).

فيشرط الخضر لقبوله اتباع موسى–عليهما السلام – (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (الكهف: 70)، فيطوى قبول موسى–عليه السلام.

هذا كله مما لا ينهض به السرد الذي يعود مجددا بعد أن تغير الموقف وتطورت الأحداث، وأصبح موسى بصحبة الخضر–عليهما السلام – (فانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا...) (الكهف: 71).

ثم يعود الحوار لإبراز صورة الصراع الداخلي في نفس موسى عليه السلام بين إحسان أصحاب السفينة الذين حملوهما دون أجرة، وبين مقابلة ذلك الإحسان بخرق سفينتهم، ذلك المنكر في ظاهره، وهذا ما لا يقوم به السرد، ولا يفي بنقله غير الحوار المباشر، ومن ثم جاء (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (الكهف: 71).

وهو ما استدعى ردًا حواريًا من الخضر (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: 72)، فولَّد حوارًا اعتذاريًّا من موسى –عليه السلام –يبرر فيه عدم صبره، وإخلاله بشرط الاتباع، واعتراضه على ما رأى (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (الكهف: 73).

ثم يعود السرد مجددًا؛ لتطور الأحداث والانتقال إلى الحدث الثاني (انطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا) (الكهف: 74).

ثم يعود الحوار من جديد مبرزًا فزع موسى–عليه السلام –وصراعه النفسي مما يشاهد من فساد ظاهر حاصل بقتل نفس غلام لم يبلغ الحلم، ولم يقترف ذنبًا، فيأتي قوله: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) (الكهف: 74)، وهو ما يستدعي ردا بحوار أقوى من جهة الخضر–عليه السلام –تلاؤمًا مع اعتراض موسى –عليه السلام –واستنكاره الأقوى والأشد (أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: 75)، ومن ثم عاد موسى–عليه السلام –إلى نفسه، واستحيا من تكرار اعتراضه وإخلاله بشرط تبعيته، فرد (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا) (الكهف: 76).

ثم يتطور الموقف وتتصاعد الأحداث ويعود السرد لنقل الحدث الثالث الذي لا مجال للحواريّة فيه (فَانطَلَقَا...أَتَيَا ...اسْتَطْعَمَا ... فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا... فَأَقَامَهُ) (الكهف: 77).

ثم يأتي دور ردة فعل موسي–عليه السلام –فيعود الحوار بين موسى؛ لإبراز ما في نفسه، وبيان عدم قدرته على الصبر (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (الكهف: 77)، والخضر–عليه السلام –الذي ينهي فيه الصحبة، ويفسر لموسى–عليه السلام –الأحداث الثلاثة بعد تعذر استمرار الرفقة؛ لعدم استطاعة موسى–عليه السلام –الصبر على ما لم يحط به علما، وهي أمور لا ينهض بها إلا الحوار الذي يضفي الذاتية على مقول كل شخصية، ويحدد بدقة ما لا يمكن أن يصدر إلا عنها ومنها، ويضع المتلقي أمام كل شخصية ليعيش جو القصة بنفسه، وكأنه يسمع ما يقال؛ ليعرف من الأعلم، ولهذا ختمت بالحوار الذي يتلاقى ويتلاءم مع مرحلة المواجهة والتصعيد والحسم، ودفع الحدث إلى الذروة، لتنتهي القصة بهذا الحوار الذي لخص مقصدها وعلَّله بما يتلاءم وسياقها، وذلك بقول الخضر في نهايتها (مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف: 82)؛ حيث لم ينسب شيئا من أفعاله لنفسه، متدرجا بالضمير من (فأردت أن أعيبها) في تأويل حدث خرق السفينة، و(أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) في تأول حدث قتل الغلام، و(أَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا) في تأول حدث إقامة الجدار، إلى أن وصل في النهاية إلى التسليم المطلق لله تعالى، وإسنادها جميعها إليه في (أَوَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) (الكهف: 82)، إنها إرادة الله تعالى الذي وهبه من علم الغيب ما رأى به نتائج أفعاله حين فعلها.

2 – الأسلوب القصصي في قصة البيان النبوي:

ذكرت أن القرآن الكريم وصحيح مسلم تشابها في الأسلوب القصصي المستخدم في القصة، وأنهما زاوجا بين أسلوبي السرد بصيغة المنقول المباشر، والحوار، غير أن القصة النبوية بدأت بسرد الحدث الذي مهَّد للقصة وبنيت عليه في «قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَطِيبًا

... فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟»، ثم انتقل إلى الحوار ليسجل عليه إجابته ويخصصها به؛ لخطورتها ومكانتها، فهي التي منها نُسِلَت كل أحداث القصة «فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ''، ثم جاء دور السرد؛ لبيان ما ترتب على هذا الجواب '' فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ''، ثم يعود الحوار المنسوب إلى شخص موسى عليه السلام؛ لبيان رغبته وعزمه على لقاء هذا العبد والتعلم منه ''قَالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟» فيعود السرد مبينا علامة لقائه ومكانه «فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ''، ويمضي السرد في عرض الأحداث بسلاسة ويسر إلى مجاوزتهما المكان، ونسيانهما أمر الحوت، وخروجه من المكتل ''فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ فَحَمَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يَمْشِيَانِ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ فَرَقَدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَفَتَاهُ فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِكْتَلِ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ –قَالَ –وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ حَتَّى كَانَ مِثْلَ الطَّاقِ فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا وَنَسِيَ صَاحِبُ مُوسَى أَنْ يُخْبِرَهُ'' حتى أدركهما التعب والجوع، هنا يتطور الموقف ويتصاعد الحدث، فيحاور موسى–عليه السلام –فتاه «فَلَمَّا أَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا''، فيرد الفتى '' قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ''، ثم يبرر سبب نسيانه معتذرا عنه، ملقيا أمر التبعة فيه على الشيطان، على ما في الأمر من عجب ينبغي ألا يُنسى ''وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا''، فيجيبه موسى–عليه السلام –ضاربًا صفحًا عن نسيان الفتى واعتذاره، مركزا على الهدف الأهم من سفره والغاية من رحلته تلك «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي».

بعدها يعود السرد فيحكي لنا حدث رجوعهما يتتبعان آثارهما حتى وصولهما مكان خروج الحوت «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، فَرَأَى رَجُلاً مُسَجًّى عَلَيْهِ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى''، عند هذا الموقف يعود الحوار؛ إذ هو الموقف الأهم في القصة الذي كان بسببه سعي موسى–عليه السلام –وعزمه (موقف لقاء موسى والخضر–عليهما السلام –) ومن ثم كان الحوار الذي ينسب فيه كل قول إلى شخص قائله أنسب هنا؛ ليتحقق طلب العلم من موسى–عليه السلام –والتعليم من الخضر–عليه السلام –فيبدو جليا المعلم والمتعلم بعد تعارفهما، فقال الخضر–عليه السلام –مقولة تتناسب وشخصية المعلم «قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ''، عندها عرض موسى–عليه السلام –عليه التلمذة على يديه والإفادة من علمه «قَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا'' فتطور الحوار، وذكر الخضر له عدم استطاعته الصبر على ما لم يعلمه ''قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا''، فيُصِرُ موسى–عليه السلام –على متابعته ''قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا''، فيشترط الخضر لذلك شرطا ''قَالَ لَهُ الْخَضِرُ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا''، فيقبل موسى–عليه السلام –شرطه (قَالَ: نَعَمْ)، وهذه المرحلة من القصة لم يكن السرد مناسبا لها، ومن ثم وردت بأسلوب الحوار؛ لتمييز الأقوال ونسبتها إلى أشخاصها أكمل تمييز، فالحوار يضفي الذاتية على الأحداث، ويجعلها متفردة، ومن ثمَّ يسمح لكل شخصية أن تنتج كلامًا يميزها عن غيرها؛ لأن كلام الشخصية وأسلوبها بمثابة الهوية الخاصة بها (الرقيق، 2004).

ولهذا يعود مرة أخرى لحكاية ملابسات الحدث الأول من أحداث القصة الثلاثة (فَانْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، كَلَّمَاهُمْ أن يحملاهما، فَحَمَلُوهُمَا بغير نول، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ) هنا انتهت حكاية الحدث وانتهى معه السرد، وجاء دور الحوار الذي يعبر فيه موسى–عليه السلام –عن استنكاره ما تم، فورد على لسانه (فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)، وهذا ما ناسبه أن يكون الرد حوارا مضادا فيه بعض اللوم على إخلال موسى–عليه السلام –بالشرط قبل بدء الرحلة (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)، فيعود موسى–عليه السلام –معتذرا بنسيانه متذكرا شرطه (قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)، وهكذا يعود السرد في الحدث؛ لأنه

لا خلاف فيه ولا عليه، ثم يسيطر الحوار من جديد في ردود الأفعال على كل حدث؛ لتنسب فيه الأقوال إلى شخصيات قائليها، وتنتهي القصة بتفسير الخضر عليه السلام أحداث القصة (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، أما السفينة، وأما الغلام، وأما الجدار) لينتهي الحديث بما ختمت به آيات القصة القرآنية.

تعقيب:

المتأمل في قصة موسى والخضر في القرآن الكريم وصحيح مسلم يلحظ تشابههما، بل واتفاقهما في الأحداث المفصلية الرئيسة في القصة، من عزم موسى –عليه السلام –وقوة إرادته وتصميمه على لقاء الخضر–عليه السلام –مهما كلّف ذلك من مشاق، ومن الأحداث الثلاثة وتفسيرها.

وهذا التشابه والتوافق يؤكد للفرد والمجتمع وحدة المصدر الذي نبع منه الوحيان، فمصدرهما الوحي الإلهي نفسه، ومن ثم لا تجد فيهما خلافا أو تعارضا، بل كل ما ورد في وحي النبوة يفسر ويوضح ويشرح ما ورد في وحي القرآن ويؤكده، الأمر الذي يقرر وحدة النبع ووحدة المصدر، ولهذا أثره البالغ على الفرد والمجتمع، ولنفترض مثلا أن اختلفت الأحداث أو تعارض ما في البيان النبوي مع ما في البيان القرآني لأدى ذلك إلى كوارث عقدية واضطراب ديني ومجتمعي، وتشرذم وتشتت وتفرق نعوذ بالله منه.

كما أن المتأمل في القصة يلحظ أنها أغفلت الحديث عن الطعام ونوعه، وأنها فقط اكتفت بالتعبير عنه بـ (آتنا غداءنا)؛ لأن المهم أن يطعموا أي نوع من أنواع الطعام يعينهم على مواصلة السير، ولا فرق في هذا بين طعام وغيره، المهم غداء.

يلحظ أيضا أن القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم أغفلت تعيين أصحاب السفينة وتحديدهم، واكتفت في التعبير عنهم بإضافتهم إلى السفينة (أهلها) في قول موسى–عليه السلام –(أخرقتها لتغرق أهلها)، وبالصفة (مساكين، يعملون في البحر) في تفسير الخضر لموسى –عليهما السلام –سبب خرقها (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)؛ لأن المستنكر المستغرب عند موسى عليه السلام إغراق أهلها ذواتهم وأشخاصهم أيًّا كانوا بغض النظر عن أسمائهم، والهدف الأسمى عند الخضر إنقاذ سفينة هؤلاء المساكين من براثن الملك الظالم الغاصب، فأي سفينة لأي مساكين يسري عليها من وجهة نظر الخضر ما سرى على سفينة هؤلاء.

كما يلحظ أن القصة القرآن الكريم وصحيح مسلم أغفلت تعيين الغلام القتيل (حتى إذا لقيا غلامًا فقتله)، وكذلك في تفسير الحدث من الخضر عرفه بلام العهد (وأما الغلام)، ثم وصف حال والديه الذي يدل بمفهوم المخالفة على حاله.

وكذلك في تفسير حدث إقامة الجدار ذكر أنه كان (لغلامين) ولم يُعَيِّنهما، بل اكتفى بوصف حالهما (يتيمين) وحال أبيهما (وكان أبوهما صالحًا)؛ تركيزا على الأحداث في حد ذاتها، مع مراعاة ذكر الوصف الذي به تحدث العبرة، وتتحقق الموعظة.

أما في الحديث عن فتى موسى–عليه السلام –فيلحظ أن قصة الوحي القرآني لم تعينه، وأنها اكتفت في التعبير عنه بـ (فتاه) في (إذ قال موسى لفتاه)، و (فلما جاوزا قال لفتاه)؛ حيث لا يتعلق بتعيينه في البيان القرآني غرض.

أما قصة البيان النبوي فقد عَيَّنَتْهُ باسمه بعد الوصف فتاه في (فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون)؛ تلاقيًا مع سياق القصة النبوية التي جاءت في رد زعم نوفا البكالي أن موسى صاحب هذه القصة ليس هو موسى نبيُّ بني إسرائيل، فكان تعيينه بذكر اسمه مع ما ورد نصًّا في ثنايا القصة في حوار موسى مع الخضر–عليهما السلام –لما قال له موسى–عليه السلام –: (أنا موسى، فسأله الخضر–عليه السلام –: موسى بني إسرائيل؟ فأجاب موسى–عليه السلام –: نعم)، كل هذا يدحض زعم البكالي الذي جاء سوق القصة لرده.

الخاتمة:

حملت هذه الوريقات شيئًا من الدراسة المقارنة لقصة موسى والخضر–عليهما السلام –في بيانها المعجز وبيان النبوة، يقينًا أن معايشة النظم العالي في هذا اللسان وتأمله يهدي إلى نتائج تساعد في تذوق بيان العربية وفقهه، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة

من النتائج، أهمها ما يلي:

1. بيان أن العلم يحتاج فوق الصبر عليه إلى العزيمة الصادقة والإرادة القوية والإصرار، وهذا ما تمثل في قول موسى –عليه السلام– في بداية القصة القرآنية: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا).
2. بيان أن العلم إنما يُسعَى إليه، وأنه يحتاج إلى من يبذل الجهد في الحصول عليه، وأنه لا يُنظر فيه إلى المظاهر أو المراتب أو الأماكن، فقد كان موسى – عليه السلام – نبيا مرسلا، ومع ذلك سعى، وبذل الجهد، حتى ناله النصب في سبيل التعلُّم.
3. بيان كيف انتظمت القصة (في القرآن الكريم وصحيح مسلم) في سلكٍ واحد يجمعُه غرضُها الذي سرى في كل جزئياتها، وكيف تلاءم محتوى القصة –في كلا البيانين –مع سياقها ومقصدها، فجاءت ناطقة بما يُثبِّتُ أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الإنسان مهما علت رتبته، طالما أنه على قيد الحياة فهو طالب علم.
4. بيان كيف تناسلت معاني القصة وتفرعت أفكارها من معنى واحد–هو عدم ردُّ أمر العلم إلى الله تعالى، الذي أثاره جواب موسى عليه السلام لما سُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. في قصة البيان النبوي، فجاءت القصة في كل منهما وحدةً متكاملةً مترابطةً، تمتد وتنمو ولا تبعد عن الأصل الذي يربط أجزاءها ويقوم بناءها، ويحقق غايتها.
5. بيان دقة اختيار ألفاظ القصة التي تناغمت وتناسقت على نهج يسير في مجرى المعنى، من مثل قول موسى عليه السلام: (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين)، و(هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا)، و(ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا) في العزيمة والصبر والإصرار والسعي في طلب العلم، ومثل ألفاظ: (علمناه من لدنا، علمًا، أتبعك، تعلمن، مما علمت، رشدًا، خبرًا، سأنبئك)، فضلا عن الاستفهامات (أخرقتها لتغرق أهلها؟ أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ لو شئت لاتخذت عليه أجرا) في البيان القرآني، ومثل قول الخضر لموسى عليهما السلام: (إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُه)، وقوله لما نقر العصفور في البحر: (مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ)، وقول موسى–عليه السلام –: (يَا رَبِّ فَدُلَّنِي عَلَيْهِ) لما أوحى الله إليه: (إِنَّ فِي الأَرْضِ رَجُلاً هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ) في البيان النبوي.
6. التنبيه إلى أوجه التشابه والاختلاف الموجودة بين محتوى القصة في القرآن الكريم وصحيح مسلم ومحاولة رصد أسباب ذلك وتعليله.
7. بيان كيف جاء توظيف الشخصيات (موسى في مقابل الخضر–عليهما السلام) متلائمًا مع سياق القصة وهدفها في القرآن الكريم وصحيح مسلم؛ حثًّا على طلب العلم، وتصبيرًا لكل من يتعرض للمشاق في سبيله، ومع غايات الرسالات الإلهية، فضلا عن رد العلم المطلق إلى الله تعالى.
8. بيان كيف جاء السردُ الموضوعيُّ الذي اعتمدت عليه القصةُ في البيان القرآني دعوةً إلى الصبر وانتظار المآلات والخواتيم، والتمسك بالعلم والحرص عليه.
9. بيان كيف أسهم المزج بين أسلوبي السرد والحوار الذي اعتمدت عليه القصة في إبراز المشاعر المختفية وراء شخوصها وفي حنايا نفوسهم؛ إبلاغا في التأثير والتثبيت والتصبير لمن جاء يشكو المعاناة والآلام في سبيل العلم، من خلال استحضار وقائعها؛ ليضع السامعَ في قلب الأحداث يتفاعل معها ويَتَمثَّلُها.
10. بيان سبب اختصاص البيان القرآني بإيراد بعض التعقيبات الختامية التي تنبئ بحسن عاقبة الصبر الذي لا ينظر

إلا إلى العواقب والمآلات، وهذا ما يتناسب مع القرآن المنزل من العليم الخبير، أما المتعجلون فيقف حدُّهم عند نهاية الحدث الدنيوي.

11. بيان توافق القرآن الكريم وصحيح مسلم في عرض الأحداث بما يؤكد وحدة المنبع، ويمنع اضطراب المجتمع عقديا ومذهبيا لو كان ثمة تعارض بينهما.

المراجع:

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984)، *التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*. *تونس:* الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أبو الحسين. (1979)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (1414هـ)، *لسان العرب*، (ط.3). بيروت: دار صادر.

أبو رضا، سعد. (1987). *في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية*. منشأة المعارف.

الأصفهاني، الراغب. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق – بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الأندلسي، أبو حيان. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل. دار الفكر.

باياذق، عمر محمد. (1994). *أسلوب القرآن بين الهداية والإعجاز البياني*. دار المأمون للتراث.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

الخالدي، صلاح عبدالفتاح. (2007). *مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد* (ط. 5). دمشق: دار القلم.

الزمخشري، جار الله. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. (ط. 3). بيروت: دار الكتاب العربي.

شرف، حفني. (1965)، *الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق*. القاهرة: دار نهضة مصر.

الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي. (١٩٨٢). (إبراهيم الخطيب، مترجم)، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، شبكة الفكر، دار الرشيد، (العمل الأصلي نشر في ١٩٦٥).

الصغير، محمد حسين علي. (د.ت). *الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية*. منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، شبكة الفكر، دار الرشيد.

الظواهري، كاظم. (1991). *بدائع الإضمار القصصي في القرآن*.

العمادي، أبو السعود. (د.ت). إرشاد *العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

غراب، صلاح الدين محمد أحمد. (2002). الجملة *القرآنية في قصة صالح عليه السلام دراسة بلاغية*.

الكندي، امرؤ القيس بن حجر. (1965). *ديوان امرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي*. اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي.

بيروت: دار المعرفة.

النووي، يحيى بن شرف. (1392). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. (ط.2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم*. بيروت: دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة.

هلال، محمد غنيمي. (1977). *النقد الأدبي الحديث*. القاهرة: دار نهضة مصر.

Arabic References:

Abo Reda, Saad. (1987). *Fi al-bnyah w al-dlalah rwyah Lnzam al-alaqat Fi al-blagah al-arabiyaah*, monshaat al-maaref.

Al-Andalosi, Abo Haiyan. (1420). *Al-bahr Almohit fi Altafsiir*, tahqiq: sedqi Mohamed Gmeil – Bairuoth, Dar Al feker.

Al-Amadi, Abo Al-souid. (N.D). *Arshad al-aql al-saleim Ela Mazaya lal-ktab al-kareym*. Beirut: Dar Ehyaa al-torath al-arabi.

al-Asfehani, Al-Raggeb. (1412). *Al-Mofradat Fi Gareyb Al-Qoraan.* Tahqeq: safwan Adnan al-dawuodi. Dar elqalam, al-dar al-shameyah.

Al-beqaei, Ebrahim bn Omar. (N.D). *Nazem al-dorar Fi Tnasob al-aayat wa al-swoar.* Al_ qaherah: Dar El_ ktaab al-Islami.

Al-bohkary, Mohammed bn Esmaeil. (1422). *al-gamei al-Mosnad al-saheh almohktasar Men Amour rasoul allah wa Aiyamh (sahih al-bohkari*). Tahqiq: Mohammed zoheyr bn Naser al-naser. Dar tuoq al-najaah.

Al-hkaldei, Salah Abdelfattah. (2007). *Maa Qasas al-sabqein Fi al-qoraan Drous Wa Ebbar Fe al-emaan Wa al-daawaah Wa al-gehad.* (5nd ed.). Dimashq: Dar alqalam.

Al-Nawawi, Abo zakareya yahya Bn Sharaf Bn Morrei (1392), *Al-Menhag sharh Saheh Moslem Bn al-hjaj* (2nd ed.). Beirut: Dar Ehyaa al-torath el-arabi.

Al-Naysabouri, Abo alhosaen Muslim. (N.D). *Al-jamee al-Saheh, Almosamma, sahih Moslem*. Beirut: Dar Al-geil, Wa Dar al-aafaaq al-gadedah.

Al-Sagheeyr, Mohammed Hosain Aly. (N.D). *Al-Surah Al-Fanneyah Fi Al-mathal Al-qoraani Derasah Naqdeyah Wa Balagheyah.* Manshorat Wazarat al-thqafah Wa alelaam El-Eraqeiah, shabkat al-fker, Dar al-rasheyd.

Al-Shklaneyuon al-ruos (1982)*: Nazareyah Al-Manhag Al-Shakli.(* Ebraheiim al-hkateyb (Trans),El _ gomhoreyah El_ Iraqiya: mwasasah al-abhath al-arabeyah.

Al-Zamahkshri, Gaar ullaah. (1407), *Al-Kashaf An hqaayq al-tawel Wa ghawmed al-tanzeeil.* (2nd ed.). Beirut: Dar el-ktaab El-Arabi.

Al-Zawahri, kazeem. (1991). *Badaeea Al-Edmaar El-Qassasi Fi El-Quoraan*.

Ba yazeq, Omar Mohammed. (1994). *Osluob Al-Quoraan Bayin Al-Hedayah Wa Eyggaz Al-bayani*. Dar al-maamuon Lltorath.

Dewan Emree Al-Qayis Bn Hagar Bn al-hareth al-kendi. (1965). Eetana Bhe: Abdelrahmaan al-mastawei. Beirut: Dar al-maarefah.

GHoraab, Salaah El-deyin Mohammed Ahmed. (2002). *Al-Gomlaah Al-Quoraaneyah Fe Qessat Saleh Alayh El-Salam Derassah Blagheyah.*

Helal, Mohammed Ghoneymi. (1977). *Al-Naqd Al-Adabi Al-Hadeyth.* Al_qaherah: Daar Nahdat Masre.

Ibn Ashour, Mohammed El-Taher. (1984). *Al-Tahrir we Al-Tanwir. Tonesia:* Al-Daar El-Tunesieah Llnashr.

Ibn Fares, Apo Al-Hosayn. (1939-1979). moojaam *Maqayyess El-Loggah.* tahqeq: Aabd al-salam Harwun. Dar al-feker.

Ibn Manzoor, Mohammed bn Makram bn Ali. (1414) *Lessan Elarab.* (3nd ed.). Beirut: Dar Sader.

Sharaf, Hofnei Mohammed. (1965). *Al-Suorah Al-bayaneyah Bayn Al-Nazareyah Wa Altatbeeq.* Al_qaherah: Dar Nadat Maser.

شكر وتقدير

هذا البحث تم دعمه من عمادة البحث العلمي بجامعة حائل